بسم الله الرحمن الرحيم

ندوة العلماء

مدرسة فكرية شاملة

بقلم :
أبي الحسن على الحسنى الندوى

كانت حركة ندوة العلماء الفكرية التى أسسها مولانا محمد على المونكيرى ، و قادها الأستاذ شبلى النعمانى و زملاؤه و دار العلوم التابعة لها، جديرة باحداث قنطرة تصل بين الثقافتين ، الاسلامية و الغربية ، والطبقتين : علماء الدين و المثقفين العصريين ، وإحداث فكر جديد يجمع بين محاسن القديم و الجديد ، وبتعبير أصحاب هذه المدرسة الفكرية « بين القديم الصالح و الجديد النافع » و « بين التصلب فى الأصول و الغايات ، و التوسع و المرونة فى الفروع والآلات » كان قادة هذه الفكرة ينظرون إلى مناهج التعليم وبرامجه

كأداة للتعليم قابلة للنمو والتطور ، خاضعة لحاجة كل عصر ومقتضاه و لم يكونوا ينظرون إليها كأداة حديدية لا مرونة فيهــا (مع الاحتفاظ بالروح و الأهداف و العلوم الأساسية) و هي عندهم حافلة بالحيوية الكامنة والازدهار ، وبتعبير آخر : إن الدين حقيقة خالدة ليست فى حاجة إلى تطوير أو تبديل ، و لكن العلم شجرة مزهرة مثمرة تؤتى أكلها كل حين و يستمر نموها و ازدهارها ، و الاسلام عندهم دين الانسانية كلها و دين العصور كلها ، لذلك من الطبيعى أن يمر بمراحل التطور والارتقاء الفكرى الانسانى المختلفة ، و يكلف القيادة فى بيئات تتغير فيهـا الأفكار و المفاهيم ، لذلك يجب أن يوسع نطاق التعليم والثقافة الذى يعد ممثلى الاسلام و مفسريه ، و يبرهن دائماً على صلاحها و حيويتهـا .

وقد رفع مؤسسو ندوة العلماء أصواتهم لاصلاح المناهج وتوسيعها وتطويرها وقد كان هذا الصوت غريباً فى الهند التى ظلت متمسكة بالمنهاج القديم عاضة عليه بالنواجذ ، وكان خافتاً فى الأقطار الاسلامية الأخرى كذلك يقدر ذلك بقطعتين اقتبسنا احداهما من كتابة مؤسس ندوة العلماء الشيخ محمد على المونكيرى ، والثانية من كتابة العلامة شبلى النعمانى :

« قد تغيرت الظروف و الأحوال فى هـــذا العصر ، إن الاعتراضات التى شغلت العقول وحلقات الدرس قديماً ، قد فقدت أهميتها و قيمتها ، وانقرضت الفرق التى كانت تثيرها و تتشبث بها ، و أصبح العكوف على دراستها و تفهمها إضاعة للوقت و جهاداً فى غير عدو ، وقد نشأ عالم جديد و تجددت حاجاته ، قد أثار أعداء الاسلام و خصومه أسئلة جديدة فى هذا العصر لم تكن تخطر على بال ، و ذلك فى ضوء الفلسفة الجـــديدة ، و لا يمكن إشباع الرد عليها والاقناع العلمى بالاعتماد على الفلسفة القديمة فقط ، وإن زعم زاعم ، و السبب فى ذلك أن الانسان لا يستطيع أن يحل الشبهة و يفحم الخصم إلا إذا عرف ما يؤول إليه الاعتراض و عرف الدوافع » (١) .

« إن هذه العلوم اليونانية ليست علومنا الدينية و لا يتوقف عليها فهم ديننـــا و معرفته ، إن الامام الغزالى فى عصره قد ضم هذه المواد الدراسية إلى مناهج التعليم فى عصره لكى يطلع العلمـاء على الأساليب الجدلية اليونانية التى نشطت فى نشرها الفرقة الباطنية فى ذلك العصر ، و يقاوموا بذلك حركة الالحاد المتفشى فى ذلك

(١) مكاتيب محمدية ـ مجموع رسائل الشيخ محمد على المونكيرى ـ

العصر ، ولكن الآن لا وجود لأولئك الملاحدة ولا لتلك العلوم اليونانية ، و لا يعتقـد صدقها و صحتها المتنورون ولا من يدعى الفطنة لذلك فقدت تأثيرها و لا خطر على الاسلام اليوم منها ، وقد احتلت مكانها علوم حديثة وقضايا جديدة و دراسات وأبحاث جديدة ، و قد أصبح من الضرورى أن يطلع علماؤنا على الأبحاث الجديدة والعلوم العصرية المفيدة ليقدموا حلولا للعضلات الحديثة ، وليردوا على الشبهات رداً علمياً مؤسساً على الدراسة والتحقيق» (١).

و أخيراً أدرك القائمون على حركة ندوة العلماء أن هذا الغرض لا يتم إلا إذا أسسوا مدرسة مثالية ، فأسست «دارالعلوم» فى لكهنؤ عاصمة الولاية الشمالية ، سنة ١٣١٦هـ و وضعت أساسها على مبدأ الجمع بين الدين الخالد الذى لا يتغير ، و بين العلم النامى الذى لا يتحجر ، بين صلابة الحديد فى الثبات على العقيدة ، وبين نعومة الحرير فى اقتباس العلوم النافعة . فبينما العالم الدينى فى عقيدته و عبادته جبل ثابت ، إذا هو فى علمه و دراسته و تقدمه نهر عذب جار ، و بينما هو فى نصوص الدين و عزائمه مرابط على الثغر وحارس للأمانة ، إذا هو فى تفهيمه ودعوته جندى مهاجم

(١) حياة شبلى ص ٦٠ ، للعلامة السيد سليمان الندوى .

ومسلح على آحدث طراز ، وبينما هو فى الأول لا يعرف الهوادة إذا هو فى الثانى لا يعرف الجمود .

وكانت حركة ندوة العلماء فكرة ومدرسة فكرية ، أكثر من حركة إصلاح مناهج التعليم فحسب ، و كانت — لو قدر الله — خطوة مباركة و فتحاً جديداً يستحق التقليد فى الأقطار والمجتمعات الاسلامية التى خاضت فى ذلك العهد معركة الصراع بين القديم و الجديد ، و لكن هذه الحركة لم تحظ بالتعاون الواسع المتحمس الذى كانت تستحقه من كلتا الطبقتين : القديمة و الجديدة ، لاتساع الفجوة بينهما ، ولوجود التطرف و المغالاة فيهما ، وبعض الخلافات التى حدثت فى صفوف العاملين لهذه الفكرة ، و أخيراً لا آخراً لعدم وجود طبقة من الأساتذة و الموجهين الذين قد تبحروا فى الثقافتين ، و قد أحسنوا هضمهما و كونوا من هذه المواد ـ التى قد تبدو متناقضة ـ رحيقاً صافياً نافعاً ، كما تعمل النحلة من الأزهار و الأشجار ، و بقى معظم الشعب يتأرجح بين طبقتين ، طبقة ترى العدول عن القديم و نظمه التعليمية و الانحراف عنها قيد شعرة ضرباً من التحريف أو نوعاً من البدع ، وطبقة تقدس كل ما جاء من الغرب و تبرئه من كل عيب و نقص ، و تعتقد

بأصحابه العظمة و العبقرية ، فى جميع الاراء والمذاهب الفكرية .

و رغم ذلك كله لا تزال فكرة ندوة العلماء الفكرة الوسط الحقيقية التى تستطيع أن تنقذ نظام التعليم الدينى من الانهيار و تتفادى بها الأمة الصراع بين القديم والجديد، و وجود طبقتين متناوئتين متنافستين ، طبقة علماء الدين ، و طبقة رجال الثقافة الحديثة ، الذى جر على كثير من البلاد الاسلامية شقاء ، و كان السبب فى كثير من الأحيان فى اتجاه البلاد العلمانى ، واللادينى .

و من يجهل أن الاسلام لا يعرف طائفتين منفصلتين متحاربتين ، أنه لا يعرف دينا لا يتصل بالحياة ، ولا يعرف دنيا لا تخضع للدين ، و لو لم يكن لمتخرجى الندوة غير هذه الحسنة ، أنهم وقفوا وسطاً بين هذين الطرفين و كانوا سبب تقاربهم وتعارفهم لكفاهم فضلا أنهم أثبتوا أنهم لا يعيشون فى عزلة عن العالم و فى جزيرة منقطعة فى بحر الحياة ، فكان منهم أدباء ، و باحثون، و مؤلفون فى لغة البلاد واجتماعيون يشاركون فى الحياة ، وكان منهم من كون للنشء الاسلامى الجديد المثقف مكتبة كاملة (١) .

---

(١) ملتقط من كتابات المؤلف نفسه .

تقوم فكرة ندوة العلماء و دعوتها فى الدين و العقيدة ، على الدين الخالص ، النقى من الشوائب ، البعيد عن تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، و تأويل الجاهلين ، وعلى العودة — فى تلقيه ، و فى فهمه ، و تفسيره — إلى منابعه الصافية الأولى ، و مصادره الصحيحة الأصيلة ، وفى العمل والسلوك ، على التمسك بلباب الدين ، و العمل بأحكامه ، و التحلى بحقيقته و روحه ، و الربانية المشرقة الصافية ، و فى تصورها للتاريخ ، على أن خير العصور هو العصر الذى ظهر فيه الاسلام ، والجيل المثالى هو الجيل الذى نشأ فى أحضان النبوة . وتخرج فى مدرسة القرآن والايمان الأولى ، وأن السعادة كل السعادة فى الرجوع إليه و الاقتداء به . وفى نظرتها العلمية ، وفلسفتها التعليمية ، على أن العلم وحدة لا ينقسم إلى قديم وحديث ، و شرقى و غربى ، وإن انقسم فانما ينقسم إلى صواب و خطاء ، و نافع وضار ، و أصول و فضول ، وغايات ووسائل ، و فى موقفها من الأخذ و الترك ، و الانتفاع و الاقتباس على التعليم النبوى الحكيم : « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » (١) و على المبدأ القديم الحكيم : « خذ ما صفا ودع

---

(١) حديث صحيح .

ما كدر ، و فى مجــال الدفاع عن الاسلام ، و مواجهة تحديات العصر ، على الارشاد الربانى : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» وفى أسلوب الدعوة إلى الله ، وعرض محاسن الاسلام ، و إقناع العقول ، على الوصية الحكيمة المأثورة (١) «كلموا الناس على قدر عقولهم ، أتريدون أن يكذب الله و رسوله» و فيما اختلف فيــه السلف من مذاهب وآراء ، على التحقيق والتطبيق ، وإحسان الظن بهم ، والتماس العذر لهم ، وترجيح ما هو أوفق بالكتاب والسنة ، وأقرب إلى جمع الشمل ، و أبعد عن الفرقة و التنافر ، و أقرب إلى مصلحة الاسلام الاجتماعية (٢) وبالجملة فهى أقرب إلى مدرسة حكيم الاسلام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولى الله الدهلوى (المتوفى ١١٧٦هـ) العلمية والفكرية ، والكلامية والفقهية .

وبذلك فندوة العلماء مدرسة فكرية شاملة ، أكثر من مركز تعليمى يقتصر على تعليم الكتب ، أو العلوم أو اللغات ، و نقل بضاعة العلم من جيل إلى جيل ، ومن طبقة إلى طبقة .

---

(١) مشهورة من أقوال سيدنا على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، ووصاياه .

(٢) توجد لكل ما جاء فى هذا العرض من الخصائص والشعائر التى تمتاز بها ندوة العلماء من بين المدارس الفكرية ، و المراكز التعليمية ، شواهد ونصوص فى كتابات مؤسسى هذه الحركة ، والقائمين عليها .

ندوة العلماء

حركة ثقافية توجيهية

بقلم :
واضح رشيد الندوى

إعداد منهج تعليمى جديد :

بجانب حركة إصلاح المنهج التعليمى ، الذى تزعمته ندوة العلماء و رفعت لواءه فى قوة و صرامة و وضوح ، فى آخر القرن التاسع عشر الميلادى ، كما سبق بيانه ، قادت ندوة العلماء حركة إعداد مكتبة قيمة لتغذية الفكر الاسلامى و دعمه ، و للتصدى للغزو الفكرى و حملة المستشرقين و تضليلهم ، و دعم رأس المال العلمى للمثقفين و المتعلمين من المسلمين ، و نقل الثروة العلمية الفكرية إلى اللغات الهندية وخاصة إلى اللغة الأردية ، التى كانت ولا تزال أرقى اللغات الاقليمية فى الهند ، و أوسعها انتشاراً ، و أغناها تعبيراً و أكثرها قبولا لدى الهنود المتعلمين لجميع طبقاتهم .

إعداد مواد دراسية تلائم الظروف المتغيرة :

و قد أعد أبناء الندوة مواد دراسية تسد حاجة العصر ، و تلائم الذوق الأدبي المتطور من المرحلة البدائية إلى المرحلة العليا ، فقبلت الكتب الدراسية التي أعدها الندويون ، في الجامعات و الكليات العصرية التي تشرف عليها الحكومة بجانب مآت من المدارس الدينية التي قبلت التطور في المنهج التعليمي ، وكانت هذه الكتب الدراسية جامعة بين العقيدة ، والعلم و الأدب ، لأنها كانت تضم مواد قراءة نزيهة تحدث في الجيل الناشئ علو الهمة ، و سمو الفكر ، والمبادئ النبيلة ، والذوق الأدبي النزيه المتطور غير الراكد ، وقد نقل أبناء الندوة الفنون العربية البدائية التي كانت تدرس حتى الآن باللغة الفارسية ، فأعدوا سلسلة من المؤلفات في هذه الفنون ، يراعون في ذلك الذهن المتطور للطالب في الهند ، و قوة حفظه و وعيه ، و المسائل التي تهم في ضوء الحياة المتغيرة ، فقد كانت كتب المتقدمين تكثف مسائل من نحو و صرف قد تكون الحاجة إليها ضئيلة ، فجاء منهج جديد يسد الحاجة وييسر عملية الاستحضار و التمرين والوعي للطلبة .

وحيث إن ندوة العلماء تضع نصب عينها الظروف المتغيرة ،

و تؤمن بالتطور فى العلم والأدب ، والنمو فى القريحة و السليقة العلمية ، فانها لا تعتبر منهجاً دراسياً منهجاً دائماً غير قابل للتغيير، فيمر نظام التعليم فيها بالتغيير و التعديل حيناً لآخر .

هذا ، و يحرص المسئولون عن التعليم فى ندوة العلماء على إيثار الكتب العصرية ، و يتابعون نهضة التأليف والنشر فى العالم العربى الاسلامى لتزويد دار العلوم بأحدث المطبوعات ، و تجهيز الطلبة بأوسع المصادر العلمية و المآخذ لتوسيع فكرهم ، و تنويع اتجاههم العلمى ، و تكوين ثقافتهم الخاصة ، و تيسير مسايرة ركب العلم مع الاحتفاظ بأهداف الدين ، و إقفال كل منفذ لمركب النقص الذى يعانيه خريجو المدارس الدينية عادة .

و قد جرب أن خريجى ندوة العلماء بفضل المطالعة الواسعة ، والثقافة العالية ، لا يشعرون بالغربة والمضايقة فى أى مجتمع ، رغم تمسكهم بالتعاليم الدينية ، واعتزازهم بثقافتهم الخاصة .

حملة التغذية الفكرية : شعر رواد حركة الندوة و تلامذتهم ، بأن إعداد منهج تعليمى مهما كان شاملا و سديداً لا يستطيع أن يساعد فى سائر مراحل الحياة ، فلابد من إعداد مواد للقراءة تغطى جميع مراحل الحياة ، و طبقات الحياة ، و طوائف الناس ، العلماء

منهم و رجال المهن الأخرى ، والميول الفكرية المختلفة .

ثم إن حملة التشكيك التى شنها الغربيون على التاريخ الاسلامى و إثارة شكوك فى سيرة السلف الصالح ، و معاملة ملوك المسلمين و قادتهم ، كانت تهدد الجيل الناشئ ، كما شوهد أن المتعلمين فى الجامعات الذين يعتمدون على مؤلفات الكتاب الغربيين وتلامذتهم يتعرضون لمثل هذه الشكوك وعدم الثقة بتاريخهم ، وحياة سلفهم من رجال الفكر والاصلاح والقيادة السياسية ، و أكثر من يكون فريسة لهذه الحملة المغرضة المتعلمون و المثقفون ، فتصبح لهم ما تكتبه أقلام الكتاب الغربيين بمثابة مصادر علمية لا تقبل نقاشاً و لا جدلا .

تفرس بناة الندوة أولا لهذا الخطر المحدق ، فوجهوا اهتمامهم إلى هذا القطاع بدون صرف النظر عن حركة إصلاح المناهج الدراسية و التعليم ، و عكف العلماء الذين كان لهم اتصال عميق مباشر بالحركة التعليمية على إعداد منهج على ثقافى ، و كتابة تاريخ الاسلام بأحدث أسلوب وأرقاه ، ليكون فى متناول الجميع ، ويكون سائغاً يقتنع به الصغير و الكبير .

و يشهد التاريخ أن علماء الندوة لم يصمدوا لحسب فى وجه

كل تيار فكرى، بل تصدوا لكل حركة هدامة تنسف الفكر الاسلامى و قاوموها بما كان فى وسعهم، باللسان و القلم، فخلدوا آثاراً لاتمحى فى تاريخ الكفاح الاسلامى، وأضافوا ثروة غنية إلى المكتبة الاسلامية، و مثلت ندوة العلماء دوراً فعالا لمواجهة نسف التضامن الاسلامى إثر الحرب العالمية الأخيرة، وفتنة القاديانية والمسيحية، و إنكار الحديث الشريف، والتنافر بين رجال المذاهب الفقهية، وتفشى البدع والأوهام، وأخيراً تعديل قانون الأحوال الشخصية للمسلمين، و غير ذلك من مسائل حيوية، سواء أكانت علاقتها بالعلم أو الاجتماع، فكانت كل مسألة من هذه المسائل تنال الأرجحية من علماء ندوة العلماء وخريجيها.

و لما اكتسحت العالم العربى عاصفة القومية و الاشتراكية، و الاستخفاف بالدين، ونهض الطغاة المعاندون للاسلام والمسلمين، و صمتت أصوات العلماء المكافحين فى أرض المعركة الفكرية إثر حملة اعدامات شنيعة واسعة النطاق، ونفى طبقة كبيرة فى الوطن العربى، أو اضطهادهم و تعذيبهم، و اكتظت الأسواق بالمواد السامة المضللة بأقلام المرتزقة، ارتفع صوت «إلى الاسلام من جديد» من هذه الدار، و رغم كل محاولة لاسكات هذا الصوت بفرض

الضغط السياسى، و تضييق نطاق المنشورات، الجرائد و المجلات التى كانت تحمل رسالة الحق و تكافح التيارات المنحرفة، وجدت حملة الندويين صدى فى الأوساط العلمية، والثقافية و وجدت منفذاً إليها، فانتصر الحق بفضل الله.

وقد كانت لسلسلة محاضرات و مقالات نشرت فى موضوع «الردة الفكرية» التى انتشرت فى العالم العربى ولكتاب «الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار الاسلامية» فضل كبير فى فتح العيون وفضح المؤامرة، كما كانت مجلة «البعث الاسلامى» وجريدة «الرائد» الصادرتان من ندوة العلماء أداة فعالة لنقل هذه الأفكار، ووسيلة كبيرة لاخماد هذه الحركة المضللة، فأحدثت هـذه المجلات الفكرية ثورة فى الفكر، و شكلت سداً منيعاً له، و مصـدر قوة و إلهام للطبقة المتعلمة، فكانت بدون شك، رادعاً كبيراً، و وازعاً عن الردة الفكرية فى حينها.

و قام السلف من رواد حركة الندوة باعمال جدية لا تقل جهودهم عن جهود أكادميات علميـة، فتحملوا هذا العبء الجسيم بأنفسهم، فكانت أعمالهم بمثابة معالم فى الطريق، سار عليها خلفهم.

أحدثت مؤلفات العلامة شبلى النعمانى الذى كان فى الواقع

مفخرة لطبقة العلماء الجامعيين وعلماء الدين معاً فى الأوساط العلمية الراقية. فكان فى كتابه فى السيرة النبوية على صاحبها الصلاة و السلام، والدفاع عن الاسلام، و فى كتاباته فى مواضيع النقد و الأدب و التاريخ، ما يلفت انتباه الطبقة المثقفة.

و كان لكتبه ومقالاته فى «الجزية فى الاسلام» و «حقوق الذميين» و «مكتبـــة الاسكندرية» (١) و «نظرة تاريخية على عالمكير» دوى و صدى فى الأوساط العلمية، و فى الطبقة المثقفة الجامعية، وتأثير كبير فى إعادة ثقة الجيل الجديد بالتعاليم الاسلامية و الحضارة الاسلامية، و مكافحة «مركب النقص» فيها فانه تناول فى هـــذه المؤلفات و المقالات قضايا حساسة أثارها المستشرقون، وحلت محل المسائل الكلامية العقائدية فى الزمن القديم.

و لما ألف جرجى زيدان كتاب «تاريخ التمدن الاسلامى» وضم الكتـاب تعليقات مضللة، تصدى العلامة النعمانى لهذه الحملة الدقيقة، بعيدة الأثر، وألف كتاباً فى نقد الكتاب والكشف عن

---

(١) نفى العلامة شبلى النعمانى فى هذا الكتاب الأسطورة الشائعة عن أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه باحراق هذه المكتبة؛ بحجج تاريخية قوية، و أنه لا أصل لها، و هو من خير ما كتب فى هذا الموضوع.

دسائسه (١) وكذلك كانت مقالاته التي كتبها في «الهلال» و «البلاغ» (٢) وقصائده المثيرة، قد كتبت تاريخ الحضارة الاسلامية ومسلمي الهند من جديد، وأثرت في الفكر والأدب تأثيراً عميقاً.

وكان من فضل العلامة شبلي النعماني، أنه قدم سير المصلحين بلون على أدبي جديد لم يكن مألوفاً قبله، فألف كتاباً في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه باسم «الفاروق» يعتبر من أقوى ما كتب في هذا الموضوع، بل في التاريخ الاسلامي و الشخصيات الاسلامية، و ألف كتاباً يعرف بالامام الغزالي و أعماله، و فلسفته، و دفاعه عن الاسلام، و مكانته العلمية و العقلية، و كتاباً يعرف بالشيخ جلال الدين الرومي وفلسفته، و الدور الذي مثله في تاريخ الفكر الاسلامي، و الاصلاح الديني، فبجانب مؤلفاته القيمة في السير، إن كتابه «شعر العجم» لايزال يشكل مادة دراسة في الجامعات، وهو كتاب فريد في نوعه.

---

(١) هو كتاب «الانتقاد على التمدن الاسلامي». و قد طبع في مصر والهند.

(٢) صحيفتان سياوتان أنشأهما و أشرف على تحريرهما مولانا أبو الكلام آزاد رئيس المؤتمر الوطني. و وزير المعارف في الجمهورية الهندية سابقاً. و قد لعبتا دوراً رائعاً في حركة التحرير وإلهاب العاطفة الوطنية والاسلامية.

و علاوة على هذا النشاط العلمى ، كان للعلامة اتصال عميق بالحركات الاجتماعية و السياسية فى عهده ، و كان لتلميذه العلامة السيد سليمان الندوى دور كبير ليس فى تخليد التراث العلمى لأستاذه فحسب ، بل إنه اكتشف آفاقا جديدة ، وأبعاداً طريقة لنشر العلوم الاسلامية . و سد متطلبات العصر ، فأكمل السيرة النبوية الشريفة التى كان بدأ تأليفها أستاذه العلامة شبلى النعمانى على النمط الذى وضعه أستاذه ، فحقق حلمه ، و خلد مآثرة علمية كانت لب لباب مئات الكتب على الموضوع ، بحث فيها مواضيع كانت مثار الشكوك لدى المستشرقين ، و منافذ تضليلهم .

و له عدة مؤلفات قيمة نالت اعتراف العلماء والباحثين ، منها مجموع محاضرات فى السيرة النبوية الشريفة ألقاها فى مدراس و قد نقلت إلى الانجليزية و إلى العربية (١) و هى من أجمل ما كتب فى العصر الحديث فى السيرة النبوية ، و كتاب فى تحقيق الأمكنة والبلدان التى ورد ذكرها فى القرآن ، و كان لها اتصال بالأنبياء الذين ظهروا فى عصور مختلفة ، و البحث عنها جغرافية

(١) نقلها إلى العربية الأستاذ محمد ناظم الندوى . وصدرت لها عدة طبعات فى القاهرة . و دمشق بعنوان « الرسالة المحمدية » .

و تاريخاً ، و لغة و أدباً ، سماه « أرض القرآن » و كان من البحوث المبتكرة فى هذا الموضوع فى الفترة التى ألف فيها ، و كتاب فى العلاقات الهندية العربية ، و سيرة أستاذه العلامة شبلى النعمانى ، وهو تاريخ عصر بأسره ، و« الملاحة عند العرب» و « سيرة أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها » و« سيرة الامام مالك رحمة الله عليه » وكلها نماذج رفيعة للبحث والتحقيق والأسلوب الأدبى الرفيع .

و قد وصفه الدكتور محمد إقبال بأنه مفجر عيون العلوم الاسلامية و مجريها من جبال جرداء فى أرض صلبة فى عصره ، والذى يستحق أن يلقب « بفرهاد » (١) بالنسبة إلى خدماته العلمية الأصيلة .

و من أبناء الندوة النبلاء الذين يمثلون حركة ندوة العلماء و فكرتها خير تمثيل من حيث الجمع بين القديم الصالح و الجديد النافع الأستاذ عبد البارى الندوى أستاذ الفلسفة الحديثة فى الجامعة

---

(١) هو بطل أسطورة شائعة فى الأدب الفارسى . ويضرب به المثل فى الوفاء والتفانى والقيام بمهمة فى منتهى العسر وشبه مستحيل . فان ملك عصره «خسرو» كلفه أن يفجر عيناً من لبن من الجبل فاشتغل بذلك ومات فى سبيله .

العثمانية بحيدرآباد سابقاً ، فقد درس الفلسفة القديمة والحديثة دراسة عميقة ، و سخرها لاثبات العقيدة ، وإبطال الالحـــاد الذى يعتبره معظم العلماء المنحرفين نتيجة حتمية للعلم و الفلسفـــة ، و أهم كتبه « الدين والعلوم العقلية » (١) و « الدين والعلوم الطبيعية » وكتب فى الفلسفة الحديثة .

و ألف العلامة عبد الحى الحسنى الأمين العام لندوة العلماء سابقاً ، فى تراجم العلماء والحكماء والأمراء ، وأعيان الهند ونوابغها كتابه « نزهة الخواطر و بهجة المسامع والنواظر » و يشتمل على حوالى خمسة آلاف ترجمة ، و الكتاب دائرة معارف الأعلام ؛ و هو كتاب فريد من نوعه فى ٨ مجلدات ، عليه العمدة فى هـذا الموضوع شرقاً و غرباً .

وله كتاب آخر فى تاريخ العلوم الاسلامية ونشأتها وتطورها فى الهند ، و ما أضاف إليها علماء الهند و زادوا فى ثروتها ، مع استيعاب شامل دقيق ، لجميع ما دبجته الأقلام الهندية الاسلامية فى العلوم الاسلامية الآلية منها والعالية ، و الأدبية منها ، والدينية ، منذ أن دخل الاسلام الهند إلى منتصف القرن الرابع عشر

---

(١) نقلها إلى العربية كاتب هذه السطور . ونشرت فى مجلة «البعث الاسلامى» تباعاً .

الهجرى (١) .

وله كتاب ثالث اسمه « الهند فى العهد الاسلامى » و هو حلقة ذهبيـــة من سلسلة كتب الخطط والآثار التى ألفها المؤلفون الاسلاميون فى مختلف البلاد ، يبحث عن الهند فى العهد الاسلامى جغرافية وتاريخاً ، و خططاً و آثاراً ، و حكومة و إدارة ، ويلقى ضوءاً قوياً على دور المسلمين فى إنهاض البلاد و ترقيتها ، و قيمة الآثار التى خلفوها (٢) .

وهكذا كان المؤلف - بمؤلفاته العربية القيمة - حلقة تعارف و اتصال بين الهند الاسلامية الغنية فى رجالها و آثارها ومآثرهـا العلمية الاسلامية و بين العالم الاسلامى و العربى الذى لا يمكن الاتصال بهما إلا عن طريق اللغة العربية ، وقد ظلت هذه الحلقة مفقودة قروناً طوالا لزهد المؤلفين الهنديين فى التأليف فى هــــذا الموضوع فى اللغة العربية ، والانصراف إلى اللغة الفارسية و قد وجدت هذه الحلقة بفضل مجهود هذا المؤلف الكبير و ملئى هذا الفراغ الموجود فى المكتبة الاسلامية العالمية ، وتتشرف ندوة العلماء

(١) نشره المجمع العلمى العربى بدمشق باسم « الثقافة الاسلامية فى الهند » فى ١٣٧٧هـ .

(٢) طبعته دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد فى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

بأن صاحب هذه المؤلفات القيمة كان من مؤسسى هـــذه المؤسسة العظيمة و من المشرفين عليها مدة طويلة .

و هذه المؤلفات القيمة التى قد ينوه بها كثير من المجامع العلمية ، وهى عمل فرد واحد ، تدل على الروح العلمية السامية التى لا تريد جزاء ولا شكوراً ، و لا تعتمد على مساعدة حكومية ، وهى روح التطوع والاحتساب التى كانت تسيطر على أعمال المؤلفين المخلصين من السلف الصالحين الذين خلفوا هذه المكتبة العظيمة التى تتباهى بها الأمة الاسلامية و يتجمل بها تاريخ العلم والحضارة .

المجامع العلمية : كان المسئولون عن ندوة العلماء ، و المتصلون بهم ، يتحملون عبء مكافحة الغزو الفكرى بأنفسهم على انفراد ، فأغنوا المتعلمين بثروة علمية طائلة ، و أنشأوا بمؤلفاتهم القيمة مكتبة زاخرة ، فظهرت خلال هذه الفترة الأولى مؤلفات تعـد بحق ، دائرة المعارف فى التاريخ ، و السيرة ، والطبقات ، و لكن كانت هذه الجهود موزعة غير منسقة ، فشعر العلامة شبلى النعمانى بالحاجة إلى تربية المؤلفين بانشـاء مركز للبحوث الاسلامية ، فأنشأ مجمعاً علمياً فى « أعظم كره » فى عام ١٩١٥م يسمى « دار المصنفين » تولى الاشراف العلمى عليه بعد وفاته تلميذه العلامة الدكتور السيد سليمان

الندوى ، و الاشراف الادارى الأستاذ مسعود على النـــدوى ، و توالى على الاشراف عليه الندويون ، و كان من أعضاء هذا المجمع البارزين ، ومن زملاء العلامة السيد سليمان الندوى الفضلاء ، الأستاذ عبد السلام الندوى ، الذى يعد من نوابغ المؤلفين ، و الأدباء والباحثين ، و له مؤلفات كبيرة القيمة ، أشهرها كتاب فى حيـــاة الصحابة رضوان الله عليهم ، وسيرهم وأخلاقهم ، أسماه « أسوة صحابه » فى ثلاثة مجلدات ، وقد ضم هذا المجمع العلمى صفوة من الكتاب الندويين الذين ألفوا فى المواضيع الاسلامية من علم الكلام ، و التاريخ ، و الجغرافية ، و السيرة ، و العلوم الاسلامية الأخرى ، نخص بالذكر منهم الأستاذ معين الدين أحمد الندوى الذى تولى إدارة دار المصنفين بعد أستاذه العلامة السيد سليمان الندوى ، و مات قريباً ، و الأستـاذ رياست على النـــــدوى ، و الأستاذ صباح الدين عبد الرحمن .

و قد كان لهذا المجمع دور فعال فى إنعاش حركة التأليف ، والبحوث العلمية الاسلامية فى أنحاء الهند كلها ، ويعتبر هذا المجمع رائد قافلة المؤلفين فى الهند ، والافادة من المصادر العربية والفارسية رأساً فى لغة أردو . ويصدر المجمع مجلة علمية تضم مقالات علمية و أدبية إسلامية ، تعتبر من أرقى المجلات العلمية فى الهند ، وتسمى

بمجلة « معارف » .

المجمع العلمى الاسلامى بندوة العلماء : كان المجمع العلمى الذى أنشأه العلامة شبلى النعمانى . قد ركز جهوده على موضوعات إسلامية علمية ، يغلب عليها الطابع التاريخى ، وقد حدثت قضايا وتطورات فى العالم الاسلامى مثل حركات القومية ، و الفلسفات المعاصرة ، و الفتن الفكرية ، و التيارات السياسية الجارفة التى تهدد الفكر الاسلامى ، فشعر الأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى أمين ندوة العلماء العام بهذه الضرورة ، و أنشأ مجمعا علميا مقره فى دار العلوم ندوة العلماء لاعداد مواد قراءة تعالج المسائل الحاضرة ، السياسية و الاجتماعية و الكلامية و التشريعية ، و تشرح رسالة الاسلام وصلاحيتها للقيادة فى العصر الحاضر ، بأسلوب عصرى فى مختلف اللغات العالمية ، و الهندية ، فقد كان المجمع العلمى المعروف « بدار المصنفين » بأعظم كره ، يركز جهوده على اللغة الأردية ، فأنشئ المجمع العلمى الأسلامى بندوة العلماء فى عام ١٩٥٩م ، فركز اهتمامه على نشر البحوث الاسلامية فى لغات مختلفة كالأردية ، و الهندية ، والعربية ، و أولى اللغة الانجليزية اهتمامه الخاص .

ومن الواقع الغريب أن اللغة الانجليزية التى عكف المسلمون

على دراستها منذ قرن فى الهنـــد ، و برع فيها كتاب ، و أدباء يناهضون أبناءها فى حذقها و الكتابة فيها ، لم تنل نصيبها المتوقع من الأدب الاسلامى ، والمؤلفات الاسلامية ، فكان فراغاً جنى على النشء الاسلامى المثقف جناية كبيرة ، و جعله فريسة التيارات الالحادية ، وموجة الشك والاضطراب ، فنشر هذا المجمع عدة مؤلفات قيمة فى اللغة الانجليزية ، انتشرت فى العالم الاسلامى ، وفى القارات الثلاث ، إفريقيا (الجنوبيـــة) و أمريكا ، و أوربا ، التى تتكلم الانجليزية ، و صدرت عدة طبعات منها ، و لن يكون من المغالاة فى القول أنه لا يوجد مجمع على إسلامى آخر أضاف إلى المكتبة الاسلامية باللغة الانجليزية هذه الثروة الغنية الواسعة ، و قد نالت هذه المؤلفات الاعجاب فى الأوساط العلمية فى الهند و خارجها ، و علقت عليهـا الصحف و المجلات الانجليزية المحترمـــة فى الهند و خارجها ، و اعترفت بقيمتها العلمية و الأدبية اعترافاً كبيراً ، وأثنت عليها ثناءاً عاطراً ، وبعض هذه الكتب فريد فى موضوعه .

و يبلغ مجموع الكتب التى ظهرت خلال هذه المدة القصيرة إلى أكثر من تسعين (٩٠) كتاباً فى اللغات الأردية والانجليزية ، والهندية ، و العربية ، و يبلغ عدد المطبوعات الانجليزية إلى ٣٠ ،

و نظرة فى قائمة مطبوعات المجمع الانجليزية تدل على ضخامة هذا الانتاج كماً وكيفاً ، و تنوع الموضوعات التى تعالجها هذه الكتب و حسن إخراجها ، و تبرهن على مجهود هذا المجمع الوليد رغم قلة الوسائل و قصر المدة ، ولله الحمد أولا و آخراً .

و فى ضوء هذه الانجازات الكبيرة التى حققتها ندوة العلماء فى مجالات التعليم ، و الثقافة ، والتوجيه الفكرى ، والدور القيادى الذى مثلته فى مكافحة حملات التضليل الفكرى ، و التيارات الضالة التى اكتسحت العالم الاسلامى ، و العالم العربى حيناً بعد حين ، و أنجبت رجالات وقفوا فى وجه كل حركة هدامة ، أو مؤامرة مناوئة للاسلام ، يتحقق المتتبع للأحداث فراسة شاعر الاسلام و فيلسوف الشرق الدكتور محمد إقبال ، و بعد نظره و ألمعيته ، حيث إنه قال قبل حوالى خمسين سنة :

« إنى لا أزال أعتقد منذ مدة أن المسلمين فى الهند الذين لا يستطيعون أن يمدوا يد المعونة إلى الدول الاسلامية الأخرى من الناحية السياسية ، يستطيعون أن يقدموا مساعدة كبيرة من الناحية العقلية والفكرية ، وليس من الغريب أن تكون ندوة العلماء

أنفع وأجدى من جامعة « على كره » الاسلامية فى عيون الأجيال القادمة للهند الاسلامية فى هذه الناحية (١) .



(١) إقبال نامه ج ١ ص ١٠٨ .


ندوة العلماء
مدرسة فكرية شاملة
توجيهات
لندوة العلماء
لكهنؤ (الهند)